21 - قوله D : { وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب }] هذه الآية من قصة امتحان داود عليه السلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام في سببه : فقال قوم : سبب ذلك أنه عليه السلام تمنى يوما من الأيام منزلة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم .

فروى السدي و الكلبي و مقاتل : عن أشياخهم قد دخل حديث بعضهم في بعض قالوا : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ويوما لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال : يارب أرى الخير كله وقد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى ا إليه : أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي إبراهيم بنمرود وبذبح ابنه وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال : رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى ا إليه إنك مبتلى في شهر كذا وفي يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم الذي وعده ا دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينا هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن - وقيل : كان جناحاها من الدر والزبرجد - فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني بني إسرائيل فينظروا إلى قدرة ا تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها فأبص امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل هذا قول الكلبي .

وقال السدي : رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجابا بها فسأل عنها فقيل هي تيشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا بن أخت داود .

وذكر بعضهم أنه أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته فكان ذنبه هذا القدر .

وذكر بعضهم أنه كتب داود إلى ابن أخته أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح ا على يديه أو يستشهد فبعثه وقدمه ففتح له افكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضا أن يبعثه إلى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب له أيضا أن يبعثه إلى عدو كذا وكذا أشد

منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سلميمان عليهما السلام .

وروي عن ابن مسعود Bه أنه قال : كان ذلك ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته .

قال أهل التفسير : كان ذلك مباحا لهم غير أن ا تعالى لم يرض له ذلك لأنه كان ذا رغبة في الدنيا وازديادا للنساء وقد أغناه ا عنها بما أعطاه من غيرها .

وروي عن الحسن في سبب امتحان داود عليه السلام : أنه كان قد جزأ الدهر أجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للقضاء بين بني إسرائيل ويوما لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروه فقالوا : هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك .

وقيل : إنهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه أنه إن أبتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة فبينما هو يقرأ إذ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا قال : وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا إذا سار إليه قتل ففعل فأصيب فتزوج امرأته .

قالوا : فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث ا إليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسين يقال : كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله D : .

{ وهل أتاك نبأ الخصم } خبر الخصم { إذ تسوروا المحراب } صعدوا وعلوا يقال : تسورت الحائط والسور إذا علوته وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ومعنى الجمع في الاثنين موجود لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شئ هذا كما قال ا تعالى : { فقد صغت قلوبكما } (التحريم - 4)